يأس

العاطفة الجياشة ، والإحساس المرهف ، والتجربة الوجدانية ، هى التى تملى الشعر ، وما الشعر إلا وليد الشعور ، وإلا عد نظما بارداً ليس فيه حرارة ، ولا شىء من عاطفة ، ولا صدق من شعور ؛ وما أكثر الدرر التى تزخر بها بطون كتب الأدب ، وما أسمى المعانى التى تحويها دواوين الشعر العربى ، وما أجل القطع الحية التى تضمها أسفار القدماء ، وما أثمن تلك الكنوز الخالدة ، ففيها الحكمة البالغة ، والقول الصادق ، والتعبير الفصيح ، والمعنى البليغ وصف بصور الموصوف مجسما ، وكلام حى يؤثر فى نفس السامع ، وقول تهتز له القلوب طربا . والحسين بن الضحاك من الشعراء الذين وهبوا البيان الساحر ، والفصاحة الرائعة ، والجزالة الصادقة ، وهو فى هذه الأبيات يشكو أولئك الذين لا يقيمون على العهد ، ولا يفون بالإخاء ، أولئك المتقلبين الذين يخفون مالا يظهرون ، ويبطنون مالا يبدون .

هويتكم جهدى وزدت على الجهد ... ولم أر فيكم من يقيم على العهد
فان أمس فيكم زاهداً بعد رغبة ... فبعد اختبار كان فى وصلكم زهدى
لعمرى لقد أغضيت فيكم على التى ... تجرعنى المكروه من غصص الحقد
نأيتكم بقيا الصديق لتقصدوا ... وتأبون إلا أن تجوروا عن القصد
تعزوا بيأس عن هواى فاننى ... إذا انصرفت نفسى فهيهات من ردى
أبى القلب إلا نبوة عن جميعكم ... كنبوتكم عنى ففى السحق والبعد
أرى الغدر ضداً للوفاء وإننى ... لأعلم أن الضد ينبو عن الضد
إذا ختم بالغيب عهدى فمالكم ... تدلون إدلال المقيم على العهد
صلوا فافعلوا فعل المدل بوصله ... وإلا فصدوا وافعلوا فعل ذى الصد
فكم من نذير كان لى قبل فيكم ... وهأنذا فيكم نذير لمن بعدى
فوا أسفا من صبوة ضاع شكرها ... مضت سلفا فى غير أجر ولا حمد

الحسين بن الضحاك